ومهما كان خطأ نظرة بعض الرومانتيكيين الى التاريخ ، فانهم قدموا موضوعيا ، خدمة جليلة في مجال النظرة التاريخية بالقياس الى الكلاسيكية وواقعية عصر التنوير . لقد طالب الرومانتيكيون الكاتب بابراز الصبغة التاريخية وبالاحساس بالعصر واستيعابه . وهذا مانجده في روايات والترسكوت وروايات فيكتور هيجو ومسرحياته التاريخية وفي قصائد بايرون ومسرحياته .

لقد طرحت الرومانتيكية التقدمية في الفن موضوع الشعب المضطهد . ولا بد لنا من الاعتراف بان التعاطف مع المضطهدين ومحاولة الدفاع عن مصالح الطبقات الفقيرة صفتان ايجابيتان رائعتان من صفات الرومانتيكية التقدمية تبناها عنها فيما بعد ، الكتاب الواقعيون .

وهكذا نجد أن الرومانتيكية شقت الطريق للواقعية النقدية في القرن التاسع عشر التي جاءت خطوة جديدة في تطور الأدب . ان أفضل المنجزات التي حققها الكتاب الواقعيون في القرن التاسع عشر ، انما تحقق بعد ان مهد له الشعراء والكتاب الرومانتيكيون .

بل ان المرء يستطيع ان يلاحظ في كثير من الأحيان انتقال بعض الكتاب في مراحل من حياتهم الأدبية من الرومانتيكية الى الواقعية . وفي تاريخ الأدب الأوروبي أمثلة كثيرة على ذلك .

ان ابداع الكاتب ظاهرة معقدة متعددة الجوانب تتطور في اطر واقع محدد تاريخيا وتخضع لتأثيرات اجتماعية وفكرية مختلفة . والفنان يتعرض في نموه لتأثير التحولات الاجتماعية في عصره . وبسبب ذلك يعيد النظر جذريا ، في كثير من الأحيان ، بمواقفه الأدبية (بايرون ، جورج صاند ، هايني) .

ولا بد لنا ونحن نؤكد الدور العظيم الذي أدته الرومانتيكية الثورية في تطور الفن في القرن التاسع عشر ، من أن نقر بحتمية حلول الواقعية محل الرومانتيكية ، الأمر الذي حدث فعلا في الثلاثينات والأربعينات من القرن الماضي .

لم تكن الواقعية رفضا للاساليب والاشكال الرومانتيكية فحسب ، فالمسألة أعمق من ذلك بكثير ، لأنها تتعلق بنظرات الواقعيين الأساسية الى الحياة .

لقد ناضل الواقعيون في سبيل ان يصور الفن كل غنى العالم الموضوعي وتنوعه ، ورفضوا فردية الرومانتيكيين وذاتيتهم ودافعوا عن أولوية الواقع .